التجديد المقارن لملامح فن الفخار الفرثي

أحمد فتيان الراوي
كلية الآداب - التربية جامعة بغداد

من خلال التعرض للمنهاج الذي أُجري له قسم الآثار في كلية الآداب في الطواف الأثري المسمى - كل أسود - 1967-1970 ومن خلال ما تبطر لي من مصادر ل بتاريخ الفراعنة وآثارهم في بلاد وادي الرافدين، أفسحت أهمية هذا الدور واستجلائه عن طريق التنقيبات والتحولات حيث لا يقل في تأثيراته الحضارية عن الادوار الحضارية الأخرى في العراق بوجه خاص، وتاريخ الشرق الأدنى بوجه عام، ولكن كل مصادر عنه جملة من بين العصور الجليولة أو المظلمة، وكانت فترة ليست بالقصيرة في تاريخ بلاد وادي الرافدين دامت زهاء ثلاثة قرون 1400 ق، 326 م، وتسببت بعدة نواح حضارية مهمة منها الالتفاظ الحضاري الواسع بين شعوب المنطقة وأمّة قديمة مختلفة، فكان العهد الفرثي وسطاً لالتفاظ الحضارات والثقافات أدت بالتالي إلى ظهور فن فرثي يمتل فضية مهنة من تاريخ العراق القديم،

أضافا إلى ذلك هو ظهور فن عربي عبّر يمثل الديودات العربية في تلك الفترة السياسية»، وما تتج عنها من آثار قديمة تمت الالتفاط الحضاري للفن الفرثي معتبأ في ذلك أعتبأ كلياً على ما زودتنا به الطباعات الآثارية في موقع الحفر 1 - تل أسود - (1) مع كشف التلال المحيطة بالمنطقة والتي تشمل الدور الفرثي في أغلبها أما بالنسبة لدراسة تجدد الفن الفرثي المثبت على

1) تائف قسم الآثار سبعة مواسم تنقيح في تل أسود وكشف عن (12) طبقة اثريه تمثل مراحل ثمينة في التطور الحضاري للفن الفرثي

248
الصناعات النخالية بأعتبار أن صناعة النخار من المجموعة الفنية التي أطلق عليها المعنين بدراسة الآثار تسميها بالفن الفرثي. لذا، وجدت في العصور الفرثي (1). وقد عرف عن الفن الفرثي بأنه تتبع وتفاعل ومزرع بين فنون العراق وفنون الأغرق الذي ظهر بعد فتح الأسكندر المقدوني وأستمر، مع أن أتخذ الشكل المتطور المعروف بالفن الهيلنستي (2). ومن خلال التفاعل، تكوَّن الفن الفرثي بشكله الذي يمكن تحديده وخصوصاً في القرن الأول الميلادي.

وهناك كثر من الباحثين على مَشَكل في أطلال مصطلح الفن الفرثي وخصوصاً أولئك الذين يتصورون للغرب بأعتبار أن الفرثيين قد قضوا على الإمبراطورية السلوفية. وأعتبر آخرون أن الإمبراطورية الفرثية قد أتمت من نهار الفرات في العراق إلى منطقة هرات (3) في أفغانستان وموزعة على شكل دولات لكل منها طابعها الخاص، وإذا كان على هذا الحال من التجربة السياسية فمن الممكن أن نعتبر لكل أقليم فنه الخاص، إلا أن الشيء المهم هو أن الفرثيين قد مزجوا بين فنون الشعوب وطورة فاصبح أسلوباً خاصاً بهم. فذلك من الممكن أن نعتبر الفخار الذي ظهر في بلاد وادي الراين من العصور الفرثي هو فخار ملحي يشتهر الفترة السياسية للكثير الدولة، كما هو معلوم أن الفرثيين قد نجحوا أكثر الدولة حكماً ذاتياً. فذلك نرى أن المؤرخين العرب أطلقوا على الفترة الفرثية فترة ملوك الطوائف، كذلك تلاحظ أن الفن في هذه الفترة يمثل أزدهار الفن العربي المتصل في المدن العربية القديمة ذات العلاقة بالإدارة الفرثية. سواء أكان

---

(2) فواد سمر 1 محمد علي مصطفى (العصر مدينة الشمس) بغداد 1974 ص 17.


تلك العلاقة عن طريق المحاليل والمعاهدات أو عن طريق منحها الحكم الذاتي، مثال ذلك الفن الذي تُشيَّدت به مدينة الحضر وتدمر والإله والصالحية وأتراكيا وحراً. فنُرى أن هذا الفن في هذه المدن متقارب إلى الأبعد الحدود وخصوصاً من حيث التراث العربي والظروف السياسية المؤثرة في أتجاه الين حيث تُرى أن هذه المدن كانت مهيأة للقبائل العربية التي تولت مهمة الدفاع عن حدود الإمبراطورية الفرثية وقيامها بدورة الوسيط في نقل البضائع التجارية والświadcاف في تنشر الافكار الدينية والتقنية. ومن المكتسبات الأثرية المهمة التي تتضمن على جوانب تنسيقية للعهد الفرثي في العراق مجموعة كبيرة من التحاليل التي تم العثور عليها أثناء تنقياتها بالإضافة إلى مواد وثائق آثرية مختلفة من مواقع آثرية أخرى.

تفرد المنتجات الصناعية التجارية المكتشفة في تلك أسود وتزودنا بعلومات ذات أهمية خاصة عن بعض النواحي الفنية الهامة من العهد الفرثي في بلاد بين النهرين لأن هذه المنتجات وهذه الصناعة تشكل مظهراً حيويًا وتماماً من مظاهر الحياة اليومية في كل المجتمعات وعلى مدى اختلاف الأديان والعصور.

ولذلك فإن خلال معرفتنا بهذه الفترة السياسية وميزاتها الحضارية المهمة في تاريخ قطرنا العراقي أستطيع أن أكون فكرة بسيطة عن هذا الفن الذي يضفي بالاهتمام معظم المعني بدراسة الحضارة القديمة بأعتباره لما زال يكتنف كثير من السؤالات والضوضى خلال تلك الفترة الزمنية من تاريخ بلاد وادي الرافدين، وهذا ما دفعني إلى هذه المحاولة المتواصلة لأطاحت النشام عن الدور الحضاري لهذا الفن سبيلاً ونحن بصدمة موقع أثري يمثل فترة زمنية تعود إلى هذا العهد وزودنا بأئر ونماذج
كثيرة ومهماً كشفت عن نواحي حضارية لها أهميتها بين بقية المواقع في هذه المنطقة.

بحيث أصبحت هذه النماذج الأثرية مادة غزيرة تسهم لنا بالانعلاج على مراحل تطور الفن الفريقي في بلاد وادي الرافدين وبسبب حكم الفرسين في هذه المنطقة لفترة زمنية طويلة تركزوا خلالها كثيرًا من آثارهم عبر السنين التي حكموا فيها هذا القدر، فكانت هذه المواد المكتشفة في تل أسود أحد المصادر الأساسية للدراسة جانب مهم من جوانب الفن الفريقي المتمثل في صناعة الفخار ونماذجه المختلفة من خلال تأثرها بالفنون العراقية القديمة التي سبقته وتفاعلها معها. وبنتيجة لذلك فقد ظهر فنإقليمي مشير يمثل التطور الأخير في الفن الفريقي في العراق القديم.

لذلك يكون الاهتمام الرئيسي بالنسبة للدراسة الفن الفريقي ينصب بالدرجة الأولى على موقع تل أسود الذي يعتبر من المواقع الأثرية القليلة التي تقتصر معظم الطبقات الأثرية فيه على العصر الفريقي. فالنسبة لدراسة بعض الفخاريات المتجمعة لدينا من حفرياتنا في تل أسود نود أن نبين أن الفن الفريقي يقسم إلى ثلاث مراحل فنية الأولى تبدأ في طراز قديم والثانية الطراز اليونائي (السقاني) المعاصر للفترة وفي نهاية القرن الأول للبلاد أختار هذا الطراز وكونا الطراز الفرشي المميز، وفي نهاية القرن الثالث بعد الميلاد بدأ الفن الفريقي بالاضحلاف ويظهر ذلك في الفنون بصورة عامة وحتى القرن الأول الميلادي الذي يبقى التأثير اليوناني واضح في الأعمال الفنية الفريقي وتشاهد ذلك جليًا في ضرب النقود التي تم العثور عليها في موقع تل أسود (المعروضة الآن في متحف قسم الآثار بكلية الآداب).
والذي يؤيد بشكل قاطع منح اللفن الفرثي في فترة زمنية متطورة
الثورة على نماذج فخارية في مواقع فريدة بحيث تمثل الدور الذي تمثله الفن الفرثي في القرنين الأول والثاني، حيث نرى التطورات الأدبية والرقمية والفنية في الأعمال الملموسة في النماذج الفنية الفرثية التي نرى انتقالها.

الفن الفرثي إلى ما يبدو عن غيره من الفنون الأخرى بحيث نرى تجاه نحو الاتجاهات والمصادر الأثرية التي تبرز إلى الأماكن وكذلك الأدوات الفخارية المزخرفة وأدوات الزينة سواء أكانت تستعمل في الحياة اليومية أو في نطاق الفن الذي يجمع بين الفنون المختلفة.

نلاحظ أن هذه النماذج تشمل فنات تنقلية للفن الفرثي بحيث أصبح هذا الفن بعد دخول الفرثين العراق عام 1298 ق م أكثر تحرراً من التأثيرات الخارجية ولذا فإن أصطلاح (الفن الفرثي) بالنسبة للفرثة التي سبقته ليس له معنى دقيق ومحدد وان النماذج المتكونة من هذا العصر وجدت في مواقع مختلفة والتي تمثلها البغداد المصنوعة من هذه العصر وجدت في جهات مختلفة والتي تمثلها البغداد الإيطالية التابعة لجامعة تورينو والبعثة العراقية في الحضور وهيئة التدقيق في قسم الآثار في كلية الإداب جامعة بغداد والتي شاركت فيها بخمسة مواسم متكاملة لارتباطها لعمل مشترك واحد بل نرى أنها ذات ملامح محلية تشمل مرحلة متطورة من فنون الأقلام التي وجدت فيه بحيث نرى أن النماذج الفخارية المفروضة في متحف طهران شاهدًا يمثل نماذج الفن الإيراني القديم مع تأثيره بالأسلوب البلدي وكذلك نماذج مثل أشكال بوذي وأيضاً ر. غيشمان، إيران، ص. 245.

ومن الظواهر المألوفة حتى وقتنا الحاضر، أن المراكز الحضارية كمراكز المدن وعواصم الامبراطوريات والدول تكون متلقى الفنانين والحرفين المهرى، ولذلك فأنى اعتقد بأن مراكز الحضارة الفرطية كانت متلقى الفنانين المهرى وان وجودهم في تلك المراكز من بعينا ارتجاء الامبراطورية أما أنه كان من مستلزمات العمل المربح أو استجابة لأوامر تتعلق بضرورة وجودهم في تلك المراكز وهذا يعزز تأثير الصناعات الفرطية بتيات وأسلوبات فنية مختلفة.

وعلى الصمود فأن الفنان الفرطى في هذا العصر كان يستعمل الأساليب البليكستية بغض النظر عن عناصرها الإصلاحية ودون محاولة لتقليل هذه العناصر الفردية وخلق أسلوب جديد مبتكر. كما يلاحظ في هذا العصر جلياً في صناعة التوابل الفاخرة والتبادل الصغيرة المستعملة في الأعراف الدينية وهي خليطاً من اللين والرمل والحبى الذي شاع استعماله في تلك الفترة، وهذا ما لم يستعمل على نماذج من هذه الصناعة في تلك العصور. وشيء مهم نراه في هذا العصر هو الأواني الفاخرة الملونة باللون الأحمر المصنوع من الأسمدة التي تعرف على ميلاتها في العصور المتأخرة.

ويشيء أعمق بالنسبة للفن الفرطى والذي لم يكتب عنه كثيراً بسبب الاعمال من قبل أكثر الموهوبين فذكر أن هذا الفن وأن قيلت في تطوره الآراء الكثيرة إلا أنه يمثل لنا من حيث الاختصاص الآثري فندى وطنية يعكس وجهة نظر الفنان المتأنى بتراث وطنه عبر العصور مع وجود بعض التأثيرات الفنية التي تركها الفنانون الأواکل في العراق القديم الميد الحضاري الأول حيث نرى الاقتباس وارد في كثير من النماذج الفنية بالرجل إلى التكنية العراقية القديمة.

Debevoise, A Political History of Parthia P. 132. (7) مقارنة مع نتائج خطيوات البعثة الإيطالية في كل عصر.
فرى هذا التأثير الظاهر في الفن يحاول أن يبقى التقليد الوطني الخالي من أي تأثير أجنبي وخصوصاً في صناعة الفخار من حيث التخصيص في النماذج كالآلوان والآلوان الألوان الأخضراء والزرقاء، كلها تشكل مرحلة مهمة من مراحل الفن العربي في بلاد وادي الرافدين.

تمت المقارنة بالنسبة لدراسة النخاسات مع ما نشرته البهتاء الأجنبية التابعة لجامعة كل من مشكان وجامعة تورينو الايطالية التي نشبت في منطقة سلوطيا (تل عمر) مع حفرية جامعة بغداد (كلية الآداب) قسم الآثار في موقع تل اسود الذي يمثل نفس الفترة الحضارية.

المصادر

بالنسبة للمواد الأثرية المكتشفة في تل أسود تم مقارنتها مع مواد تمتد إلى نفس الفترة الزمنية من مواقع أثرية نبت فيها بعثات أجنبية وعراقية ونشرت في نشرات خاصة وأحسنت من كتب عن هذه الفترة الامريكية التابعة لجامعة مشكان والبعثة الايطالية في سلوطية وطيفون.

1- Leroy Waterman, Preliminary Report upon the Exacavation at Tell-Umar, Iraq University of Micigan (1931) PL. VI, VII, X

2- Nelson G. Debevoise, Parthian-Pottery from seleucia on the Tigris, University of Michigan, (1934)
فبنى هذا التأثير الظاهرة في النوع يحاول أن يبقى التقاليد الوطنية الخالية من أي تأثير أجنبى وخصوصاً في صناعة الفخار من حيث التخصص في النماذج كالزهورات والأكواب والأواني ذات الألوان الخضراء والزرقاء.
كلها تمثل مرحلة مهمة من مراحل الفن التراثي في بلاد وادي الرافدين.

لاحظة:
تتم المشاركة بالنسبة لدراسة التحفيات مع ما نشرته البعثات الأجنبية التابعة لجامعات كل من ميشيغان وجامعة تورينو الإيطالية التي تبحث في منطقة سلوفيا (تل عمر) مع جفعيات جامعية بغداد (كلية الآداب) قسم الآثار في موقع تل أسود الذي يمثل نفس الفترة الحضارية.

المصادر

بالنسبة للمواد الأثرية المكتشفة في تل أسود تمت مقارنتها مع مواد تم وصفها في نفس الفترة الزمنية من مواقع أخرى تثبت فيها بعثات أجنبية وعراقية ونشرت في نشرات خاصة. وحسب من كتب عن هذه الفترة البعثة الأمريكية التابعة لجامعة مشغان والبعثة الإيطالية في سلوفيا وطنين.

1- Leroy Waterman, Preliminary Report upon the Excavation at Tell-Umar, Iraq University of Michigan (1931) PL. VI, VII, X

2- Nelson G. Debevoise, Parthian-Pottery from Seleucia on the Tigris, University of Michigan, (1934)
3- Pope, A survey of Persian Art, Vol. VII

"Excavation at seleucian and ctespon, season - 1964- in mesopotamia,
Universita di Torino: seasons, 1966, 67, 98, 69, 70, 71

اللوح رقم ورقم 2 من حطريات تل أسود مع بعض الصور التوضيحية


7- Colledge, Malcolm A. R. The Parthians (London, 1967)

8- Chirshman, R., Iran, (Paris, 1954)
لوح رقم 1:
مراحل نظرية الصناعات اليدوية للقرن الثاني عشر ميلادي

الشمس ٩٥

العصر ١٣٧٣